

برنامج أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة الثامنة والعشرون

سفر أيوب

صديقي المستمع ، مازلنا نتأمل بأحداث وشخصيات العهد القديم من الكتاب المقدس . لنكتشف المزيد من المعاني والرموز التي تشير إلى خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان ، والتي تشير أيضا إلى المخلص المسيح . وكنا قد تحدثنا في أربع حلقات متتالية عن الملك سليمان الحكيم ، وسفري الحكمة اللذين كتبهما ، أي سفر الأمثال والجامعة . واتضح لنا أن الحكمة الحقة هي المخلص المسيح ، الذي هو كلمة الله الأزلي . ولقد كرر سليمان الحكيم في سفر الجامعة العبارة المشهورة : "باطل الأباطيل الكل باطل " . وأكد أن راحة الإنسان تكمن في حياة التقوى وحفظ وصايا الله ، أي بقبول خلاص الله الذي أعلن من خلال المخلص المسيح .

أما في لقاء اليوم فسنحدث عن النبي أيوب . لاسيما عما جاء في سفره، من حكم وعبر تحتوي على الكثير من المعاني الروحية العميقة . وسفر أيوب هو من أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس . عاش أيوب في أرض عوص ، التي تقع جنوبي شرق فلسطين . وهو من قبيلة عربية ، واسمه قريب من اللفظ العربي آيب ، ويعني الراجع إلى الله . وكان أيوب معاصرا للأباء الأولين كإبراهيم الخليل ويعقوب .

تعتبر قصة أيوب من القصص المأسوية ، ولقد أشتهر أيوب بالحن والآلام التي تعرض لها ، وصبره الذي فاق كل حد وتصور . حتى صار مضربا للمثل ، فنقول في العربية يا صبر أيوب . عالج سفر أيوب إحدى أهم القضايا العملية وهي : لماذا يسمح الله بأن يتألم البار أو المؤمن به ؟ وكتب السفر بصيغة شعرية في الأصل ، ويُعتبر أحد أسفار الحكمة في الكتاب المقدس .

يرسم لنا السفر صورة حية للآلام التي عاناها أيوب ، والنقاش الذي دار بينه وبين أصحابه . ويدحض النظرية القائلة أن ألم المؤمن ومحنه ، تأتي نتيجة ذنب كبير ارتكبه ، كما ظن بعض أصدقاء أيوب . لكن مقابل ذلك اعتبر سفر أيوب الألم، مجرد تأديب صادر من الله الأب المحب ، لكي يُنقى أولاده ويدربهم في حياة التقوى والصلاح . ولهذا نقرأ الآية المعبرة : "طوبى لرجل يؤدبه الله. فلا ترفض تأديب القدير." (١٧:٥)

سمح الله للشيطان الذي تحده ، لكي يجرب عبده أيوب . مبرهنا له أن أيوب لن يتخلى عن إيمانه وثقته بالله ، حتى في أحلك الساعات والظروف ، ولقد ربح الله الرهان . ففي يوم واحد خسر أيوب أولاده العشرة وغلمانه ومواشيه الكثيرة . لكن رد فعله كان : " عُرِيانا خرجت من بطن أُمي وعريانا أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركا." (١٢:٢)

وعندما تحدّى الشيطان الله مرة أخرى ، سمح له بأن يمد يده إلى جسده دون نفسه . فضرب الشيطان أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته . فقالت له امرأته وهو جالس في وسط الرماد : " هل أنت متمسك بعد بكمالك ، بارك الله وامت . " وهي قصدت سبّ الله وامت . فأجابها أيوب : " تتكلمين كلاما كإحدى الجاهلات . الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل . " ودوّنت عندها هذه الكلمات في سفر أيوب : " في كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه . " (أيوب ٢: ٩ و ١٠) وعندها أتى أصحاب أيوب الثلاثة ليرثوا له ويعزّوه ، وقعدوا معه على الأرض سبعة أيام ، دون أن يكلموه شيئا ، لعظم كآبته . ثم دار الحوار الغني المليء بالعبر والحكم بينهم وبينه ، والذي ملأ أصحابات السفر كله .

تساءل أيوب وهو في محنته : كيف يتبرر الإنسان عند الله ؟ أي كيف يخلص من ذنوبه ويصبح مقبولا ومرضيا لدى الله ؟ أليس هذا هو تساؤل كل إمرء وقع تحت تأثير ضميره الحي ، وتبكيه روح الله في قلبه ؟ إن أيوب بالرغم من أن الرب قال عنه ، ليس مثله في الأرض ، رجل كامل ومستقيم ، يتقي الله ويحيد عن الشر ، أحسّ بفطرته الروحية ، أنه لا بد من وجود وسيلة ما يتبرر فيها كإنسان خاطيء أمام الله . فهل فكرت صديقي المستمع مرة جديا بهذا السؤال ؟ وهل طرحته على نفسك ؟ أي كيف أتبرر أنا الإنسان المذنب أمام الله ؟ إنه السؤال الصحيح الذي يجب أن نطرحه ، إن كنا حقا نريد معالجة مشكلة الخطية .

وطرح أيوب قضية هامة أخرى ، عندما قال وفي نفس الأصحاح : " لأنه ليس هو إنسانا مثلي ، فأجابه فنأتي جميعا إلى المحاكمة . ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا . " (أيوب ٩: ٣٢ و ٣٣) لقد أدرك أيوب أنه بحاجة إلى مصالح بينه ، وهو الخاطيء ، وبين الله القدوس العادل . وسيط يحاول ردم الهوة ويُجري عملية المصالحة . فإذا كان الله هو الإله العادل الذي سيحاكمنا ، فمن هو الذي يصلحنا ويُدافع عنا ؟

ثم طرح أيوب أيضا قضية ثالثة مهمة على شكل التساؤل التالي : إن مات رجل أفيحيا ؟ أي هل توجد قيامة للأموات ؟ وهل هناك خلود بعد الموت ؟ أليست هذه هي تساؤلات الإنسان على مدى الأجيال والعصور ؟

لقد أجاب الله أيوب على تساؤلاته المهمة تلك ، من خلال صديقه أليهو الذي قال : " إن وُجد عنده مُرسل ، وسيط واحد من ألف ليعلن للإنسان استقامته . يترأف عليه ويقول اطلقه عن الهبوط إلى الحفرة . قد وجدتُ فدية . " (أيوب ٣٣: ٢٣ و ٢٤)

هذا كان جواب الله للإنسان المذنب المتألم : وجدت فدية لك ، فدية تأخذ مكانك ، وتحمل الدينونة عوضا عنك . وجدت وسيطا يصلحك معي ، ويضع يده بيدك ويدي . وهكذا يمكنك أن تتبرر أمامي .

لكن ما هي هذه الفدية التي أعدّها الله لنا ؟ ومن هو الوسيط الذي أرسله لكي يصلحنا معه ؟

لقد أرسل الله كلمته الأزلي من السماء ، المخلص المسيح ، ليكون هو الفدية المقبولة أمامه ، وليصبح هو الوسيط الوحيد بينه وبين البشر . ولم يخف المخلص المسيح الغرض من مجيئه إلى عالمنا ، لابل أعلنه مرارا وتكرارا . لقد أطاع المسيح إرادة الله الأب ، وقدم جسده كفارة من أجل خطية الناس أجمعين ، بموته البديلي على خشبة الصليب . وهكذا صار الوسيط الوحيد الذي صالح الإنسان مع الله ، بأن وضع يده في يد الله ويد الإنسان .

إن كلمة الله الأزلي المخلص المسيح ، أخذ طبيعتنا البشرية ، لكن من دون خطية . وصار هو الوسيط عن جدارة واستحقاق ، بيننا نحن البشر الخاطئة ، وبين الله القدوس العادل . ولهذا كتب الرسول بولس قائلا : " لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح ، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع . " (اتيموثاوس ٢:٥ و٦)

ولقد أوضح لنا أيضا صديق أيوب أليهو نتائج الفدية ، التي أعدها الله بالنسبة لكل من يؤمن . إذ نقرأ : " يُصلي إلى الله فيرضى عنه ، ويعاين وجهه بهتاف ، فيرد على الإنسان بره . " (٢٦:٣٣) أجل مستمعي العزيز ، بهذه الوسيلة يتبرر الإنسان أمام الله ، وتصبح له علاقة روحية وطيدة معه . أي بإيمانه بالفدية التي أعدها الله له ، وبالوسيط الوحيد المخلص المسيح الذي أرسله . لا بل يتيقن أيضا من قيامته في اليوم الأخير، ونواله الخلود .

ولقد أدرك أيوب نفسه هذه الحقيقة فقال : " أما أنا فقد علمت أن وليمي حي والآخر على الأرض يقوم . وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله . " أليس هذا هو رجاء كل مؤمن حقيقي ؟ أو ليس هذا هو رجاء كل من اختبر فداء المسيح لذنوبه ؟ أن الله غفر ذنوبه ، وجعله من أولاده ، وأنه سيحيا مع الله إلى الأبد؟ (أيوب ١٩: ٢٥)

لنلاحظ صديقي المستمع ، أن الله بعد إنسحاق أيوب وانتصاره في التجربة ، أعطاه ضعفا من كل شيء فقده . وصار له سبعة بنين وثلاث بنات كالسابق ، كن من أجمل بنات الأرض . ولم يسع أيوب عندها سوى القول : " قد علمت أنك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر .. بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأيتك عيني . " (أيوب ٤٢:٥ و٢)

حقا ، لقد نجح أيوب في الإمتحان الصعب ، وخرج منتصرا ، وقد إختبر الله ، وأدرك عمق محبته . ألا تود صديقي أن تتبرر أنت أيضا من ذنوبك ؟ وأن تتصالح مع الله خالقك ؟ لم لا تؤمن الآن بالفدية التي أعدها الله لك ؟ بالمخلص المسيح الوسيط الوحيد ؟ وهكذا تتال الغفران والخلود .